غازي عبدالرحمن القصيبي
التنمية...
الأسئلة الكبرى

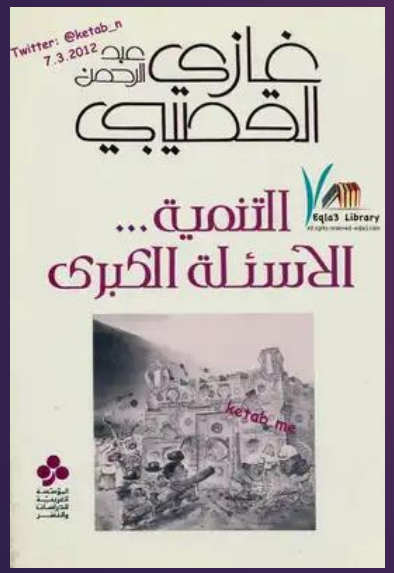

تلخيص: أنوار الجنفاوي

الفصل الأول : التنمية : لماذا؟

Anwar Alzunbawy

ما نقصده بالتنمية بكل وضوح هو درجة من التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي نجحت بعض الدول دون البعض الآخر في الوصول إليها.

مواطننا الأول يعيش في جورجيا الدولة الأولى في زراعة الفول السوداني، و المواطن الثاني في السنغال التي تشتهر بنفس الزراعة، هيا لنرى كيف يعيش المواطن السنغالي والأمريكي .

***يبلغ جون جونستون الثالثة والأربعين من العمر و يزرع ٥٤ فدانا من الفول السوداني، يعد التربة باستخدام حراثه متطورة، يستخدم الطائرة في رش المبيدات الحشرية، يستخدم آلة حصاد مزدوجة تجمع حبات الفول الناضجة ومن ثم تقوم بتقشيرها.**

ثم يبيع محصوله إلى تاجر جملة في مدينة مجاورة وهناك يخزن الفول في أحدث أنواع المخازن ثم يبيع التاجر المحصول لتجار آخرين، يحصل على سعر أعلى من السعر الدولي نتيجة لتدخل الدولة في تقليص واردات الفول.

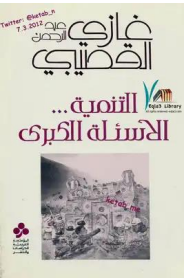

المزارع الثاني: يزرع شيرنو سار الفول في مزرعة صغيره بقريته وقد ورث هذه المزرعة عن أبيه، يستخدم معدات ليست بالجودة التي يستخدمها صديقه الأول، هو لا يستطيع استخدام الأسمدة و المبيدات الحشرية إما لأنها باهظة الثمن أو لأنها غير موجودة.

ليس أمامه اختيار سوى بيع محصوله إلى الأسواق الحكومية المحتكرة بسعر أقل لتضمن الحكومة حصتها من الأرباح.

تضع هذه الهيئة المحصول في مخازن بدائية فيفسد جزء كبير منها وهكذا تتكالب عدة عوامل هي؛ ضآلة المحصول وانخفاض الأسعار وتلف البضاعة فيبقى سار وعائلته في قبضة الفقر .

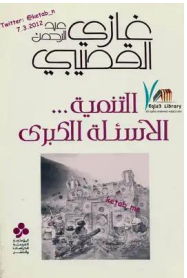

Anwar Alzenbawi

ماذا عن البيئة السياسية التي تحيط بصديقنا الأمريكي وصديقنا السنغالي ؟؟

يمثل جونستون في واشنطن نائب متجاوب معه ومع مصالحه ومتطلباته .

أما سار لا يملك أي نوع من النفوذ السياسي ولا يمثل مصالحه في العاصمة أحد.

ليس لسار أي وسيلة للحصول على سعر أفضل لمحصوله أو للضغط على الحكومة حيث تقدم له ولعائلته خدمات أفضل.

ليس من أهداف التربية أن نغير اسم سار الى جونستون ولا أن نجعله يتكلم كما يتكلم جونستون ولا يرتدي نفس الثياب ولا يلتزم بنفس القيم .

وليس من أهداف التنمية أن نجعل السنغال جزءاً من الولايات المتحدة ولا ننقل التقاليد الأمريكية الى السنغال.

Anwar Alzenbawi

لماذا نريد لمواطن العالم الثالث وضعاً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً؟

السبب هو بدون تنمية لا بد من استمرار التخلف واستمرار الفقر وانعدام كل المقومات اللازمة للحياة الكريمة.

- **في السبعينيات حصل العالم الثالث على ٣٠ بليون دولار مقابل تصدير ١٢ نوع من الصادرات الرئيسية .**
- **في الثلاثينيات كانت دول العالم الثالث تصدر ١٠ ملايين طن من الحبوب وفي الخمسينيات تمكنت هذه الدول من تحقيق الاكتفاء الذاتي من الحبوب.**
- **بلغت ديون العالم الثالث سنة ١٩٨٨ ١٤٥٠ بليون دولار وبلغت الفوائد والأقساط السنوية المستحقة على الديون سنة ١٩٨٦ حوالي ٩٦ بليون دولار.**

من هنا يصبح من الواضح أن المحاولات التي شهدتها دول كثيرة في العالم الثالث لطمس هويتها ومسخ تميزها هي محاولات تخريبية مقطوعة الصلة بالتنمية الحقيقية وهدفها النبيل.

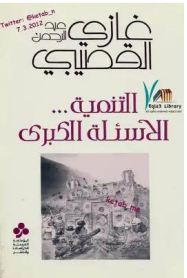

بدأت المأساة عندما استقر في الاذهان أن التغيير في حد ذاته يعني التنمية وكان أول زعيم يبدأ هذا الانحراف الفكري هو مصطفى أتاتورك. حرم أتاتورك على مواطنيه لباس الطربوش وفرض السفور على النساء بالقوة العسكرية وألغى الأبجدية العربية ووضع مكانها الحروف الأبجدية اللاتينية .

إن القادة الحقيقين المرتبطين بروح الشعب ومشاعره يدركون إدراكا غريزيا أن التنمية لا يمكن أن تتم بقرار فوقي يفرض على الجماهير من أعلى ويتجاهل احتياجاتها وعاداتها وتقاليدها.

من الباحثين من رأى أن طبيعة الإقليم هي المسؤولة ومنهم من رأى أن طبيعة النظام السياسي هي سبب البلاء ،ومنهم من رأى أن طبيعة النظام الاقتصادي هي السبب.

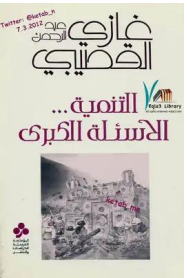

يرجع التخلف في آسيا الى عدم كفاية الموارد الطبيعية، والتخلف في افريقيا يرجع الى عدم الكفاءة البشرية والتخلف في أمريكا اللاتينية لا يرجع الى عدم كفاية الموارد الطبيعية ولا الى عدم الكفاءة البشرية ولكن يرجع الى ضعف المؤسسات الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية.

لم يعد هناك باحثون يعلنون أن التنمية مجرد وهم مستحيل التحقيق، ولم تعد هناك النظريات عرقيه تخص بعض البشر دون البعض الآخر بالعبقرية والذكاء .

لا يزال حوالي ألف مليون من البشر أميين لا يقرأون ولا يكتبون. وهناك قرابة ألفي مليون يعيشون دون مياه شرب نظيفة، وحوالي مئة مليون انسان بدون أي نوع من أنواع السكن .

الفصل الثاني : التنمية.. لمن؟

Anwar Alzeubawi

لمن ننمي؟ الجواب البديهي هو « أننا ننمي لصالح أكبر عدد ممكن من المواطنين.»

صحيح أن النمو جاء ولكن التنمية لم تجئ في ركابه، صحيح أن الرخاء تحقق ولكن لم يعم على الجميع .

لم تكن سلبيات النمو السريع مقتصره فقط على الباكستان، بل في مناطق عديده من العالم الثالث. في العالم العربي وجد أحد الباحثين أن التنمية لم تمس الا القشرة الخارجية للمجتمع تاركة السواد الأعظم من الناس دون أي تحسن في أوضاعهم، توصل الى أن الحكومات العربية لم تعد مهتمة بالتنمية ولكن كانت مهتمة فقط بالتحديث .

في البرازيل في الوقت الذي ارتفعت فيه معدلات الدخول عموما انخفضت حصة الأغلبية من الدخل القومي. مع تكرار هذه الظاهرة من بلد الى آخر تبين أنها توشك، و أنها السمة المميزة للنمو في العالم الثالث .

وجد بعض الباحثين أن ثلاثة عقود من التنمية انتجت المزيد من عدم المساواة في دول كثيرة من العالم الثالث وتركت معظم السكان دون تغيير.

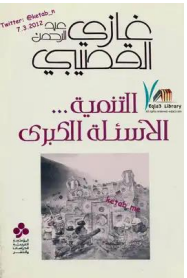

Anwar Alzubawy

في تحليل كلاسيكي يذكر أحد الباحثين أربع خصائص رئيسية تحكم السلوك البيروقراطي:

أولا: ينزع كل موظف الى تغيير المعلومات التي يدلي بها الى من فوقه في التنظيم.

ثانيا: ينحاز كل مسؤول الى جانب تلك السياسات أو الأعمال التي تخدم مصالحه وتخدم البرامج التي يؤيدها.

ثالثا: تختلف درجة تجاوب المسئول مع الأوامر التي تصدر إليه باختلاف تماشيها مع مصالحه أو عدم تماشيها.

رابعا: الدرجة التي تحكم بحث الموظف عن مسئوليات جديدة وقبوله تحمل المخاطر في عمله.

هكذا تدور عجلة البيروقراطية وتدير معها عجلة التنمية. لا شك أن ضرر البيروقراطية المرتشية عظيم في كل مكان ولكن خطرها أعظم وأشد في بلاد العالم الثالث الفقيرة.

ومع ذلك نحن نملك من المعلومات ما يشير الى الأثر الرهيب لهذا الفساد.

وينتهي البحث الى أن الاحصائيات والمعلومات المتوفرة تشير الى أن الأجهزة البيروقراطية تحولت في معظم بلاد العالم الثالث الى مراكز قوة لا يمكن السيطرة عليها وتعمل على تحقيق أهدافها الشخصية عن طريق الابتزاز والرشوة .

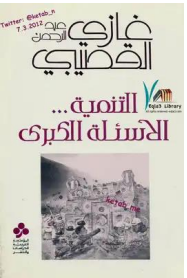

بعد الصفوة الحاكمة والبيروقراطية يجئ سكان العواصم والمدن الكبرى كفئة مستفيدة من التنمية ولنأخذ مثلا طهران كمثال:

في طهران يمتلك فرد من بين عشرة أفراد سيارة أما خارجها فلا يملك السيارة سوى فرد من بين تسعين فرد، كانت فرص الذين يقيمون بالعاصمة في الاستفادة من التعليم والالتحاق بالوظائف أفضل بكثير من الآخرين.

لولا الفشل الذريع الذي تعرضت له خطط التنمية في ايران وهو فشل يعود الى فلسفة التنمية بقدر ما يعود الى عدم الكفاءة في تنفيذها.

قبل أن نترك ايران ظهرت على أثر سقوط الشاه عدة تنبوءات بأن ما حدث في ايران ممكن أن يتكرر في الدول العربية في الخليج ما يهمنا هنا هو ظهور طبقة متوسطة في الخليج لها مصلحة في استقرار الأنظمة والطبقة المتوسطة في كل مكان هي الشرط الأساسي للاستقرار.

يجب أن ننمي لصالح السواد الأعظم من الناس وهذا يتطلب منا أن نزيل استئثار الصفوة الحاكمة بثمرات التنمية ويتطلب منا أن ننهي احتكار حياة السكان العواصم للمزايا ويتطلب أن ننتشل التنمية من براثن البيروقراطية وأن ننقذها من براثن الفساد.

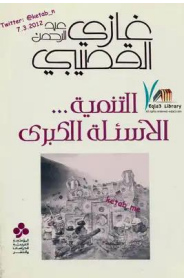

نقصد بالتضخم تضاؤل القيمة الشرائية للنقود بسبب ارتفاع الخدمات والسلع بوتائر غير مقبولة وما يحدثه هذا التضاؤل من انعكاسات سلبية على حياة المواطن.

الفصل الثالث: التنمية.. ماذا؟

Anwar Algezabawy

ماذا ننمي؟

رأى المفكرون الرأسماليون أن دول العالم الثالث لا يمكن أن تنمو مالم تزح التقاليد والعادات القديمة لتحل محلها عادات وتقاليد جديدة.

ينتقل المجتمع المتخلف الى مرحلة ينفتح فيها على الأفكار التقدمية التي تخلخل التقاليد والعادات القديمة وهذه الأفكار التقدمية رأسماليه عند روستو وماركسية عند الاشتراكيين.

وقعت التنمية منذ نعومة أظافرها تحت الغزو الثقافي. آمن المخططون للتنمية أن أول ما يجب تنميته هو الفكر المستورد سواء استورد من الغرب الرأسمالي أو الشرق الاشتراكي.

ظلت جماهير العالم الثالث الأمية ترقب صراع المثقفين هذا يتخذ اشكالا ودية حينا ودموية حينا آخر.

ارتبطت محاولات التنمية في الستينات والسبعينات ارتباطا عضويا بمحاولات التصنيع. أصبحت الطبقة الصناعية الجديدة هي الصفوة الجديدة في المجتمع سواء تلك التي تملك المشاريع الصناعية في النموذج الرأسمالي أو تهيمن عليها في النموذج الاشتراكي.

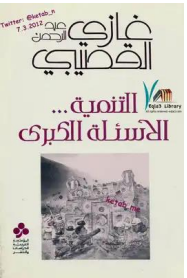

Anwar Alzeabawy

هناك من رأى الاكتفاء بالصناعات التي تتمتع فيها الدولة بميزة نسبيه واضحة، وهناك من آمن بأن التصنيع ممكن حتى في غياب هذه الميزة النسبية الواضحة. هناك من شجع على الصناعة اليدوية، وهناك من بنى المجمعات الصناعية العملاقة. لم تكن التنمية تستهدف تحسين أوضاع المواطنين الاقتصادية.

كان من المفروض أن تكون التنمية نسخا لبعض ما تم في العالم الأول من منجزات ولكنها تحولت الى مسخ تام لكل ما يدور فيه.

أصبحت الأصالة رجعية والتمسك بالهوية تخلفا فكريا حتى الأفكار التحررية التي قادت دول العالم الثالث الى الاستقلال المتنبع من تراث هذه الدول بل من جامعات الدولة المستعمرة ونظريات مفكريها.

لم تكن التنمية سوى نقل عشوائي محموم يتم بدون رؤية صافية وبدون نظرة شاملة وبدون أهداف واضحة.

من مظاهر النضج الذي يدب في فلسفة التنمية الموقف المحايد من التقاليد والأعراف والعادات بدلا من الموقف القديم الذي كان يتسم بالعداء الشديد.

التنمية في مجتمع إسلامي تختلف عن التنمية في مجتمع مسيحي أو هندوكي أو بوذي.

كما أن التنمية في المجتمع القبلي غيرها في المجتمع الذي لا يعرف التقاليد القبلية. والتنمية في مجتمع رعوي غيرها في مجتمع المزارعين.

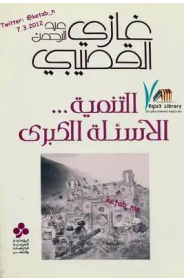

الفصل الرابع: التنمية .. كيف؟

Anwar Algrubawi

كيف ننمي ؟

الاجابة هي : التخطيط ..... التخطيط ليس ترفا فكريا يزخرف العملية التنموية و يحسنها في عيون الناظرين. التخطيط هو تلك المعاناة اللماحة الذكية اليومية لواقع الوطن وتطلعات المواطنين.

نلجأ الى التخطيط الدقيق في مختلف المجالات لتتمكن من حشد الجهود العسكرية واستخدام الموارد المتاحة أفضل استخدام.

يرى باحث قام بدراسة ميدانية فريدة لهذه الخطة أنه يمكن تقسيمها الى ثلاث أقسام :

- الخطط في الحزام السوفيتي ويشمل آسيا وأوروبا الشرقية وافريقيا الشمالية وهذه الخطط تأثرت بالنموذج السوفييتي وبالأفكار الاشتراكية.
- الخطط في افريقيا الوسطى والصحراوية ومنطقة الكاريبي هي إعلانات رمزية تصدر في الوقت الذي تدور فيه عملية التنمية طبقا لتقاليد الدول المستعمرة.
- الخطط في أمريكا اللاتينية وهي خطط تنمية صناعية استهدفت بالمقام الأول التخفيف من الواردات.

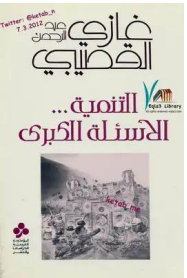

اذا كان ثمة خطأ أكبر في التخطيط تنبع منه كل الأخطاء الصغرى فهو تجاهل القوانين التي تحكم عمل المنظومة والتعامل مع كل جزء دون أخذ بقية الأجزاء بعين الاعتبار.

نسى المخططون في الدول حقيقة أساسية وهي أن اهمال الزراعة، مورد الرزق الوحيد للغالبية الساحقة من السكان يعني الحكم على هذه الأغلبية بالفقر المدقع.

من أخطر النزعات في العالم الثالث الاخلال بمنظومة المجتمع بالتركيز الشديد على الانفاق العسكري وذلك على حساب بقية القطاعات. لا تكاد الدول المشتركة تستوعب السلاح حتى تكون صلاحيته قد انتهت ونشأت الحاجه الى تقنية أكبر.

من الأخطاء القاتلة التي وقع بها مخططو العالم الثالث أنهم أخلوا بمنظومة المجتمع لصالح المدن الكبرى وعلى حساب القرى والأرياف.

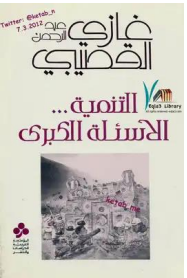

ان الحاجات الأساسية محور التنمية هي حاجات إنسانية ومن هنا كانت الخبرة بطبيعة البشر أهم بكثير من الخبرة في المحاسبة أو الاقتصاد أو الهندسة.

من الأخطاء الفادحة التي يقع بها مخططو العالم الثالث أن تغيم الرؤية لديهم فيخلطوا بين الحاجات الأساسية والكماليات .كثيرا ما تبدأ الأمور على نحو تدريجي لا يشعر به أحد الا بعد أن يتحول الى اتجاه لا يستطيع وقفه.

الفصل الخامس: التنمية .. المفتاح السحري

Anwar Algzubawy

الذهنية المطلوبة هنا هي ذهنية علمية بالدرجة الأولى بمعنى أنها تلجأ الى الأسلوب العلمي في حل المشاكل بدلا من التخبط الخالي من كل منهجية أو الانحراف التلقائي تجاه الحلول الأيديولوجية.

تتناقض الذهنية التنموية مع وهم خطير يشيع في كل البلدان في العالم الثالث تقريبا ومؤداه أن المال هو العالم الأساسي في معادلة التنمية والطريق الى البنك أو وزارة المالية وهي الخطوة الأولى في أي عملية تنموية.

الحرية ليست مشروعا يمكن حساب كلفته الاقتصادية كما أثبتت التجارب أن معظم البلدان أن تستخدم الأموار الموجودة بمزيد من الكفاءة باتباع الأسلوب اللامركزي في التنمية وتطبيق منهج المشاركة في التنمية .

الذهنية التنموية تنفر من ترك العبء التنموي كله على عاتق الدولة وتدرك الدور الكبير الذي تقوم به المؤسسات الكبرى.

الذهنية التنموية تستطيع أن تنفذ المشاريع بحد أدنى من التكلفة بدلا من الحد الأعلى الذي نراه الان في كل مكان من العالم الثالث.

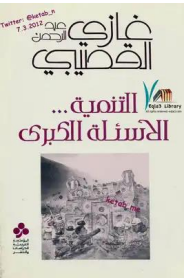

Anwar Algeubawi

يمكن أن تساهم التقنية الحديثة اذا ربطت بالهياكل الإدارية المناسبة فيخفض التكاليف للحصول على المياه الصالحة للشرب. في كل مجال من مجالات الخدمات العامة يمكن للأساليب الصحيحة أن تؤدي الى خفض واضح في التكلفة.

إن الذهنية التنموية تستطيع أن ترفع كفاءة الخدمة في نفس الوقت الذي تخفض فيه تكلفتها لعل خير مثال لما

يمكن تحقيقه في هذا المجال ما يمكن تحقيقه في هذا المجال هو ما قامت به الصين الشعبية في مجال الخدمات الصحية.

الذهنية التنموية في الوقت الذي تتبنى فيه الحلول المبتكرة بديلا عن حلول تقليدية ثبت فشلها ترفض أن تطرح الحل التقليدي .

الذهنية التنموية لا تعترف بالتقنية الأغلى ولا بالتقنية الأحدث التي عادة ما تكون الأغلى ولكن بالتقنية الأنسب وحدها. كثيرا ما يؤدي حرص العالم الثالث على اقتناء أحدث التقنيات وأغلاها الى نتائج سلبية.

تستطيع الذهنية التنموية أن تحقق الكثير عندما تركز على التقنية الملائمة للمحيط ومن أبرز الأمثلة هنا ما يمكن تحقيقه في مجال الطاقة.

الذهنية التنموية لا تبحث عن حلول سريعة اذا كانت السرعة غير مقترنة بالكفاءة .

اذا كان للذهنية التنموية هذا التأثير الفعال الخطير اذا كانت تستطيع أن تحل المشاكل حيثما وجدت وأن توجد المشاكل حيثما غابت. فلماذا لا نراها في كل مكان من العالم الثالث.

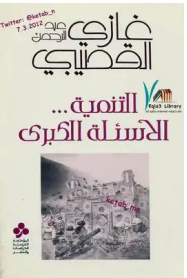

العلاقة بين الأمية والتخلف وما يتبع التخلف من انخفاض في الإنتاجية لا تكاد تحتاج الى برهان. والدراسات تشير الى وجود علاقة مباشرة بين مستوى الأم التعليمي ومعدل العمر المتوقع للأبناء.

أنظمة التعليم التي فشلت في القضاء على الأمية وفي ترشيد التعليم الجامعي فشلت في تزويد المجتمع بحاجته من الطاقات البشرية المدربة.

الهدف الأول للإصلاح يجب أن يكون القضاء التام المبرم على الأمية واعطاء كل طفل تعليما إلزاميا أساسيا لمدة لا تقل عن تسع سنوات.

مع اصلاح النظام التعليمي يجب إعطاء البحث العلمي ما يستحقه من اهتمام.

التعليم باختصار هو الكلمة الأولى والأخير في ملحمة التنمية.